المحاضرة الثانية: تاريخ السميولوجيا

ليس من السهل رصد تاريخ السميولوجيا لتمازجها بالدراسات الفلسفية الكلاسيكية، ونجد مصطلح "سميوطيقا" في اللغة الأفلاطونية، إلى جانب النحو يعني تعلم القراءة والكتابة، ومندمج مع الفلسفة، أو "فن التفكير"، وتبدو أن السميوطيقا اليونانية لم يكن هدفها إلاّ تصنيف علامات الفكر لتوجيهها في منطق فلسفي شامل.

السميولوجيا القديمة تنتمي إلى جرد مدلولات الفكر، وانطلاقا من هذا تتداخل السميولوجيا مع ما يسمى بالمنطق الصوري.

يختفي المصطلح لمدة طويلة ولا نجده إلاّ في دراسة للفيلسوف "John Lock" (1704-1632) تحت اسم Sémantique، وبدلالة جد مشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية، وكان يجب انتظار أواخر القرن 19 لجمع التعريفات الأولى، والمحدّدة للسميوطيقا القديمة بقلم أحد الجامعيين الأمريكيين "شارل ساندرس بيرس"، علم العلامات "يسمى السميوطيقا"، وفي نفس الوقت تقريبا "فردينان دسوسير" يعرف في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة (السميولوجيا هو العلم الذي يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية.

- **السميولوجيا ما بعد دسوسير:**

لقد وضع دسوسير في أواخر حياته النظريات اللسانية التي جعلته ذائع الصيت، فتلامذته ومساعدوه الأقربون (شارل بالي، وجورج سشهاي) هما اللّذان جمعا تسجيلاته الخاصة من خلال محاضراته بجنيف، وجمعت في كتابه المشهور "محاضرات في اللسانيات العامة" الذي ظهر لأول مرة سنة 1916.

وكان لنشر هذا الكتاب الأثر الكبير على الدراسات اللّغوية، حيث ظهرت النظرية السوسيرية للّغة التي تجاوزت كل النظريات القديمة.

في أوروبا بعد النظريات السوسيرية تتشكل سنة 1928 حلقة براغ، بإيعاز من لسانيين روس مهاجرين أمثال Nicolas Trubetz Koy (1890-1938)، الذي أسس بعد الفيلسوف التشيكي Jean Dubois Courtenay (صاحب أول تعريف للفونيم) الجانب الخاص بأصوات اللغة من الدراسات اللسانية: الصوتيات. ورومان جاكبسون الذي يلجأ في بداية الحرب

العالمية الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح باحث في النظرية اللسانية، و Levis Straus الذي كان لاجئا في نيويورك سنة 1940، ثم حل حلقة "براغ" سنة 1938، وكان لها صدى كبير في الوسائط اللسانية العالمية، وقد عمل بها الكثير من المنظرين آنذاك منهم مؤسسي اللسانيات الفرنسية: أ. مارتيني André Martinet وا ٍميل بنفنيست Emil Benvenist.

الحرب العالمية الثانية عرقلت شيئا ما أعمال اللسانيين وجمدت نشاطاتهم لسنوات، ورغم ذلك ففي سنة 1940 و 1941 هاجم لساني دانماركي هو "لويس يالمسليف" نظريات حلقة براغ ووضع لسانيات جديدة سماها Glossématique (من اللغة اليونانية القديمة التي تعني لسان "glossé" وحمل إلى النظريات السميولوجية المستقبلية مضمونا مزدوجا (التعيين والتضمين) Dénotation – Connotation سيعمل بها رولان بارث فيما بعد.

- **السميولوجيا ما بعد بيرس:**

في الولايات المتحدة الأمريكية بعد نظريات "بيرس"أول من عر ّف مجال الصورة تحت اسم المجال الأيقوني، ظهر جامعيان يؤسسان أولى المدارس اللسانية الأمريكية: "John Boas" و "Edouard Sapit"، فاللسانيات الأمريكية كانت الأولى التي تتأثر بالمعطيات الخارجية الوافدة من العلوم الإنسانية الجديدة، كعلم النفس الاجتماعي الخاص بالسلوك، والذي يظهر في نظريات "Boas"، وعلم الاجتماع، الذي يظهر تأثيره في لسانيات "بلومفيلد".

- **السميولوجيا البارثية:**

ولدت النظرية السميولوجية في حدود 1964 عندما نشر بارث نص: عناصر السميولوجيا، كما اعتبر أحد أقطاب السميولوجيا منذ نشره كتابه الأساطير "Mythologie"، وكان نتاج قراءاته لبيرس، ودسوسير، وبالمسليف لذلك كان أول من وضع نظرية سميولوجية تتجاوز اللسانيات.

وقد بلور "بارث" بعض العناصر السميولوجية من خلال إثارة المسائل التالية:

- رولان بارث يأخذ عن فردينان دسوسير النظرية المتعلقة بالدّال والمدلول" "والمرجع" بالإضافة إلى الثنائية "لغة - كلام" بأخذ مفهومي "التعيين والتضمين" عن "بالمسليف" وعمل على بلورتهما.

- **تطور السميولوجيا البارثية:**

شهدت سميولوجيا التواصل تطورا في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا EPHE، بإيعاز من "رولان بارث" وبعض مساعديه مثل Todorow – Metz. الأشكال الأيقونية التي تثير اهتمام السميولوجيين أصبحت تتكون أساسا من الرسم التمثيلي، السينما، القصة المصورة، وأضحى النص الأدبي المادة الهامة للدراسات السميوطيقية اللسانية، فبعد تشر كتاب بلاغة الصور ة" مباشرة، خصص بارث اهتمامه بالنص مع اقتحام ميدان الموسيقى والغناء، إضافة إلى الصورة الفوتوغرافية.